The religious, cultural and economic life of Tihama in the Islamic heritage books

الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية لتهامة في كتب التراث الإسلامي

Al shahrani Saeed Ali * Ahmad Faisal bin Abdul Hamid**
Aizan Binti Ali @ Mat Zin* * *

Abstract

When we return to the sources of history and the Arab-Islamic heritage, we found that when talking about the Arabian island, the attention is paid to the big cities of Yemen and Hejaz, while the interest in the areas between Yemen and the Hijaz is almost nonexistent. In those regions, the area of Tihama is negligible, only in its relation to Yemen or Hijaz.

This does not in any way mean that the region was poor in its production in all fields, whether it was religious, intellectual or economic aspects. As the region locates on the main road that links the northern and the southern Arabian Island, it has played an important role in intellectual and economic life.

Based on this significance, I have studied this area in my research by using the descriptive, historical approach in writing and reviewing it through the religious, intellectual and economic aspects.

It is worth mentioning that such a worthy subject of research and study. It needs to be concerted efforts to bring out a way out to fit the greatness of the area under study. Thus, the individual efforts remain deficient because of the difficulties faced the researcher from the lack of sources, and its validity to talk about Tihama. In addition, many of Manuscripts have not seen the light which belongs to the region (i.e. Tihama) .

I revealed a finding in this study that through the Islamic heritage books, this region was full of poets and important commercial roads. Moreover, there were many idols than the delegations presented from Tihama to the Prophet peace be upon him declaring their Islam.

***Keywords**: Tihama - Religious life - Scientific and cultural life - Economic life*

---

* طالب دكتوراه في قسم التاريخ والحضارة الاسلامية أكاديمية الدراسات الاسلامية بجامعة الملايا، هذه المقالة كتبت بالمشاركة بين الطالب ومشرفه وهي مستله من رسالة الدكتوراه، up2me1@hotmail.com

* * أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا.

* * * أستاذ التاريخ بقسم التاريخ والحضارة الاسلامية , أكاديمية الدراسات الاسلامية جامعة ملايا.

المقدمـــــة:

عند العودة إلى مصادر التاريخ والتراث العربي الإسلامي وجدنا أنه وعند الحديث عن الجزيرة العربية، ينصرف الاهتمام إلى الحواضر الكبرى باليمن والحجاز، بينما يظل الاهتمام بالمناطق الواقعة بين اليمن والحجاز شبه معدوم، ومن تلك المناطق، منطقة تهامة فلا تكاد تذكر إلا بقدر علاقتها باليمن أو الحجاز, وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن المنطقة كانت فقيرة في انتاجها في جميع المجالات سواءً ما كان يتعلق بالنواحي الدينية أو الفكرية أو الاقتصادية. فنظراً لوقوع المنطقة على الطريق الرئيسي الذي يربط حواضر شمال الجزيرة العربية بجنوبها، فقد لعبت دوراً هاماً في الحياة الفكرية والاقتصادية.

وانطلاقاً من تلك الأهمية فقد تناولت في هذا المقال تلك المنطقة مستخدماً المنهج التاريخي الوصفي في الكتابة ومستعرضاً إياها من خلال الجوانب الدينية والفكرية والاقتصادية.

والجدير بالذكر أن موضوعاً كهذا جدير بالبحث والدراسة ويحتاج إلى تظافر الجهود لإخراجه مخرجاً لائقاً بعظمة المنطقة موضوع الدراسة، لذلك فالجهد الفردي يظل يعتريه النقص إذ تكمن الصعوبة التي تواجه الباحث في قلة المصادر، وفي صحتها عن الحديث عن تهامة، هذا إذا ما أضفنا إلى العديد من المخطوطات التي لم تر النور، وهي تخص المنطقة

وتوصلت إلى نتيجة في هذا المقال أن المنطقة من خلال كتب التراث الاسلامي كانت تزخر بالعديد من الشعراء في العصور الاسلامية المبكرة ويمر بها العديد من الطرق التجارية المهمة وكانت عبادة الاصنام هي السائدة بالمنطقة قبل قدوم العديد من الوفود للرسول ﷺ معلنين إسلامهم.

الكلمات المفتاحية: تهامة – الحياة الدينية –الحياة العلمية والثقافية - الحياة الاقتصادية.

الحياة الدينية

أولاً: الأصنام:

1-يعوق:

أورد ياقوت الحموي[1] في معجم البلدان أن ابن الكلبي قال: كان يعوق الصنم بقرية يقال لها خيوان من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة. وفي المنمق[2]، ورد يعوق على أنه صنم كان بقرية يقال لها خيوان، تعبده همدان، ومن والاها. وذكر عن رسول الله ﷺ، أنه قال: " رفعت لي النار فرأيت عمرو بن لحي، ولحي هو ربيعة رجلاً قصيراً أحمر أزرق يجر قصبة في النار، فقلت: من هذا؟ فقيل عمرو بن لحي أول من بحر البحيرة، ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحامي وغير دين إسماعيل عليه السلام، ودعا العرب إلى عبادة الأصنام والأوثان"[3]، ومن المفسرين من أورد أن خيوان من همدان اتخذوا يعوض بأرض همدان من اليمن[4]. ويعوق صنم اتخذته قبيلة همدان بقرية خيوان قرب صنعاء[5].

2-عم أنس "عميانس":

هذا وقد عرفت المنطقة أصناماً غير الصنم يعوق. فقد ورد عند النويري[6] في سياق ال حديث بين رسول الله ﷺ، وبين وفد خولان ما يلي: قدم وفد خولان على رسول الله ﷺ: فقالوا: يا رسول الله، نحن مؤمنون بالله مصدقون برسوله، ونحن على من

---

(1) الجزء الثاني، ص 474.

(2) ابن حبيب، ص 328.

(3) المصدر نفسه.

(4) البلسني، تفسير مبهمات القرآن، ج2، ص 653.

(5) أبو خليل شوقي، أطلس القرآن، ص 163.

(6) نهاية الأرب، ج18، ص 82.

وراءنا من قومنا وقد ضربنا إليك آباط الإبل، فقال رسول الله ﷺ: " ما فعل عم أنس" فقالوا: بشر وعر، أبدلنا الله به ما جئت به، ولو رجعنا إليه هدمناه)[7].

3-سعد:

وسعد كان صنماً من الأصنام التي عُبد في المنطقة فقد جاء في كتاب الإشتقاق)[8] أن "سعد" كان صنماً على ساحل البحر بتهامة تعبده عك ومن يليها.

4-المنطبق:

كان المنطبق للسُفل وعك، والأشعريين)[9]، وكان صنماً من نحاس، يكلمون من جوفه كلاماً لم يسمع بمثله. فلما كسرت الأصنام وجدوا فيه سيفاً، فاصطفاه رسول الله ﷺ، فسُمي مخدما)[10].

كانت تلك هي أشهر الأصنام التي عرفتها المنطقة وعبدتها، وهذا لا يعني أنه ليس هناك أصناماً أخرى، بل ربما كانت هناك العديد من الأصنام، غير أن أبرزها ما ذكرنا، كما لا يخفى أنه كان هناك بعض الأديان السماوية التي انتشرت هناك إلى جانب عبادة الأصنام.

فقد ذكر ابن رسته أن اليهودية كانت في حمير وبني كنانة)[11]. كما أورد ياقوت الحموي ما يلي: "وفرسان قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى، ولهم في جزائر فرسان كنائس قد خربت"[(12)].

ثانياً: ظهور الإسلام وموقف سكان المنطقة:

لا يمكن بأي حال من الأحوال القول بأن سكان تهامة لم يسمعوا الإسلام منذ بدايته، حيث أنه لا بد وأنهم سمعوا عن ذلك الدين العظيم، وعن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ. ولكن حين كان الإسلام وأهله مستضعفين في مكة كان بالتالي تأثيره ضعيفاً.

وعلى صعيد آخر، وما أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، وأصبح للمسلمين كيان قوي وكلمة مسموعة، حتى جاءته الوفود من كل أنحاء الجزيرة العربية. ومنها وفود القبائل التهامية, ولعل السبب الرئيس هو تسامح المسلمين في فتوحاتهم وما كان من أدبهم في الجهاد والقتال جعلت الوفود تقدم للرسول ﷺ[(13)].

الوفود:

1-وفد الأشعريين:

قالوا: وقدم الأشعريون على رسول الله ﷺ وهم خمسون رجلاً، فيهم ابو موسى الأشعري، وأخوة لهم، ومعهم رجلان من عك)[14]، وقدموا في سفن في البحر وخرجوا بجدة، فلما دنوا من المدينة جعلوا يقولون: غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه، ثم قدموا فوجدوا رسول الله ﷺ في سفره بخيبر،

---

(7) المصدر نفسه.

(8) ابن دريد، جـ1، ص 56.

(9) ابن حبيب، المعبر. ص 318.

(10) ابن حبيب، المعبر، ص 318.

(11) الأعلاق النفيسة، ص 317.

(12) معجم البلدان، جـ4، ص 283

13)Suhear Mohammad Bataineh & Ahmad Faisal bin Abdul Hamid, " *The Concept of fighting in Islam and Its Ethics in Islamic Sharia''*, JOURNAL AL-MUQADDIMAH, Vol.5 (1) , Ju2017,P90-100, https://umexpert.um.edu.my/file/publication/00006434_159128_70516.pdf.

(14) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ1، ص 348.

ثم لقوا رسول الله ﷺ، فبايعوه وأسلموا فقال رسول الله ﷺ: "الأشعريون في الناس كصرة فيها مسك"[15].

هذا ولم يكن وفد الأشعريين هو الوفد الوحيد الذي لقي رسول الله، فهناك كذلك:

2-وفد بارق:

أورد النويري[16]: "قالوا: قدم وفد بارق، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلموا وبايعوا، وكتب لهم رسول الله، ﷺ: " هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ، لبارق الا تجذ ثمارهم، ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق. ومن مرجهم من المسلمين فيعرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام. وإذا أينعت ثمارهم فلا بد من السبيل اللقاط بوسع بطنه من غير أن يقيه". ثم شهد أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان. وكتب أُبي بن كعب[17].

3-وفد عبس:

حيث روي عن أبي هريرة، أنه قال: "قدم ثلاثة نفر من عبس على رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه قدم علينا قوم فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواشٍ هي معاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا: فقال رسول الله ﷺ: "اتقوا الله حيث كنتم، فلن يلتكم من أعمالكم شيئاً، ولو كنتم بضمد وجازان"[18].

وبهذا نكون قد أوردنا أبرز الوفود التهامية التي وفدت على رسول الله ﷺ معلنةً اسلامها، ومنتقلة من حياة الشرك وعبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الديان.

ثالثاً: في فضائل تهامة وأهلها:

من النصوص التي وردت في ذلك، نص أورده ابن منظور[19] حيث جاء في فضل تهامة أن النبي ﷺ قال: "وتهامة كبديع العسل حلو أوله حلو آخره"[20]. وفي حديث آخر عن رسول اللهﷺأنه قال: " إني لعبقر حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن"[21].

ومما جاء في فضائل الأشعريين، رضي الله عنهم، أن رسول الله ﷺ قال: "إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن، حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم إذا لقي الخيل – أو قال: العدو- قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم". وفي حديث آخر، عن أبي موسى الأشعري قال. قال رسول الله ﷺ: "إن الأشعريين، إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم"),[22].

ذلك كان جانباً يسيراً من فضائل أهل تهامة، حيث عرف عن أهلها صدق الإيمان والتوكل، وكثرة قراءة القرآن وتجويده، فهم ألين قلوباً، وأكثر إقبالاً على الله، ولا غرو في ذلك فالإيمان والحكمة يمانية.

رابعاً: العلماء والزهاد:

عرفت المنطقة – موضوع الدراسة – بكثرة علمائها وزهادها. ومما أورده ابن بطوطة في رحلته ما يلي: " ... وصلنا إلى مدينة حليّ، وتعرف باسم ابن يعقوب، وكان من سلاطين اليمن ساكناً بها قديماًن وهي كبيرة حسنة العمارة، يسكنها طائفتان من العرب، وهم بنو حرام وكنانة، وجامع هذه المدينة من أحسن الجوامع، وفيه جماعة من الفقراء المنقطعين إلى العبادة، منهم الشيخ الصالح العابد الزاهد قبوله الهندي من كبار الصالحين. لباسه مرقعة وقلنسوة لبد، وله خلوة متصلة بالمسجد، فرشها الرمل لا حصير

---

(15) المصدر نفسه، ص 349.

(16) نهاية الأرب، ج18، ص 115، 116.

(17) المصدر نفسه.

(18) النويري، نهاية الأرب، ج18، ص 17.

(19) لسان العرب، ج2، ص 38.

(20) ابن منظور، المصدر السابق.

(21) المصدر نفسه، ج6، ص 51.

(22) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ص1091.

بها ولا بساط. ولم أر بها حين لقاني له شيئاً، إلا إبريق الوضوء وسفرة من خوص النخيل فيها كسر شعير يابسة..، وإذا صلوا العصر اجتمعوا للذكر بين يدي الشيخ إلى صلاة المغرب.." [23].

ومن مشاهير العلماء والعباد في زبيد الشيخ الكبير العارف المشهور بالولاية أبو العباس أحمد بن ابي الخير، المعروف بالصياد [24]، ومنهم في حلي بن يعقوب الشيخ الكبير، صاحب القلب المنير نور الدين علي المعروف بالطاشي، نسباً، الشافعي الصوفي مذهباً، إشتغل بفنون من العلوم، حتى في علم الطب، وأكثر اشتغاله بالفقه، وكان الغالب عليه التنسك وحب الخلوات [25].

ومنهم في عواجة السيدان الكبيران الوليان الشهيران مطلعا الأنوار وخزانتا الأسرار، ذوا الفضائل العظيمات والكرامات الكريمات، الشيخ/محمد بن أبي بكر الحكمي، والشيخ الفقيه/ محمد بن الحسين البجلي [26].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المنطقة، ما زالت وإلى الآن يظهر بها عدد كبير من العلماء المشائخ، أكثرهم ينسبون إلى تلك الأسر العلمية القديمة، خاصة أسرتا الحكمي وآل الطواشي، وبذلك نكون قد ألمحنا إلى جانب من الحياة الدينية بالمنطقة, وهؤلاء العلماء والزهاد ما هم إلا إرث للعلماء الافذاذ الذين سبقوهم في المدينة المنورة وغيرها كابن عباس وغيره من علماء المسلمين [27].

الحياة العلمية والثقافية

الشعراء

الشعر ديوان العرب، وهو الفن الذي برز فيه العرب وأجادوه، وتفاخروا فيه وعظموه، والجزيرة العربية هي مهد الشعر العربي الفصيح، فيها ولد، وبين أحضانها نشأ وترعرع.

وكان لتهامة نصيب في ذلك، ومن خلال الاطلاع وجد أن هناك العديد من الشعراء قالوا شعراً في تهامة، سواءً كان قاطناً فيها، أو ماراً بها، أو معجباً أو مغرماً ومنهم:

((1معقر-وقيل سفيان- بن أوس بن حمار البارقي- شاعر جاهلي يماني، سمي معقراً، لقوله بيتاً من الشعر هو:

لها ناهضٌ في الوكر قد مهدتْ له كما مهدتْ للبعل حسناء عاقرُ

شهد يوم جبلة في الجاهلية، وقد عمي في آخر عمره.[28] ومما أورد من أخباره، أنه سأل ابنته بعدما كف بصره وقد سمعت صوت رعد: " أي شيء ترين"؟ قالت: "آري سحماء عقاقة، كأنها حولاء ناقة، ذات هيدب دان وسير وان" فقال با بنية" ميلي وائلي بي إلى جنب قفلة" "فإنها لا تنب إلاّ بمنجاة من السيل"[29].

2-حماس بن قيس بن خالد الكناني:

أحد بني كنانة، شاعر مخضرم، كان مع المشركين يوم فتح مكة وقد انهزم هو وأتباعه أمام خالد بن الوليد، وكانت امرأة حماس قد نهت زوجها عن الحرب وأنذرته بالهزيمة [30].

---

(23) ابن بطوطة، الرحلة، ص 263.

(24) اليافعي، مرآة الجنان، جـ4، ص 358.

(25) اليافعي، المرآة، ج4، ص 311.

(26) اليافعي، المرآة، جـ4، ص 360.

27) Ku Muhamad Asmadi Bin Ku Mohd Saad,Faisal @ Ahmad Faisal Abdul Hamid, ***''ANALISIS METODE PENDIDIKAN IBN ABBAS''***, Jurnal al-Muqaddimah Volume 3(3), Disember, 2015, p1-12.
https://umexpert.um.edu.my/faisal.html.

(28) الأيوبي، ياسين، معجم الشعراء في لسان العرب، ص 355، 336.

(29) الدينوري، كتاب الأنواء في مواسم العرب، ص 173.

ومن الشعراء الذين ينتسبون إلى كنانة الشاعر:

3-**قيس بن ذريح – أو – قيس لبنى** (ت: 68هـ/687م)، وهو قيس بن ذريح بن سُنة، من بني كنانة، شاعر إسلامي، عفيف اللسان، طامح الوجدان، أحب " لبنى" بنت الحباب الكعبية وأحبته، فتزوجها، ولما لم تنجب له ولداً أمره أبوه بتطليقها، فطلقها مرغماً، وهام على وجهه، ومرض بدنه، وذاع خبره وشعره في الناس، وعاش العاشقان ما بين فراق وتحرق، ولقاء مختلس وآمال واهنة حتى ماتا من الشوق، ولم يعرف بالتمام أيهما مات قبل الآخر)[31].

4-أبو دهبل الجمحيّ (.96هـ/715م):

هو وهب بن ربيعة من بني جُمَح وكان شاعراً محسنا وأكثر أشعاره في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرق وإلى اليمين وفيه يقول:

تحمله الناقة الأدماء معتجراً بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
وكيف أنساك لا أيديك واحدة عندي ولا بالذي أوليت من قدم

ولما عزله عبد الله بن الزبير عن اليمن قال أبو دهبل في شعر له:

ما زلت في دفعات الخير تفعلها لما اعترى الناس لأواء ومجهود
حتى الذي بيبن عسفان إلى عدن لحب لمن يطلب المعروف أخدود

وكانت لأبي دهبل ناقة لم يكن في زمانها أسير منها ولا أحسن)[32] فقال واصفًا إياها ومسيرها)[33]:

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي للصلاة واعتما
فما نام من راع ولا ارتد سامر من الحي، حتى جاوزت بي يلملما
ومرت ببطن الليث تهوي، كأنما تبادر بالأصباح نهباً مقسماً
وجازت على البزواء والليل كاسر جناحيه بالبزواء والليل كاسر
فما ذر قرن الشمس حتى تبينت بعليب نخلاً مشرفاً ومخيما
ومرت على أشطان روقة بالضحى فما جررت للماء عيناً ولا فما
وما شربت حتى ثنيت زمانها وخفت عليها أن تجن وتكلما
فقلت لها: قد بعت غير ذميمة وأصبح وادي البرك غيثًا مديما

وكان أبو دهبل جميلاً، عفيفاً، أحب فعف، فكتم)[34].

والجدير بال ذكر أن هناك الكثير من الشعراء الذين عاشوا في تهامة، أو مروا عليها، أو وردت في أشعارهم أخباراً أو ذكراً لبعض قرى ومدن ومواضع تهامة، فما ورد ذكره في شعر "كثير" من المواقع، ما يأتي "قنونا، يبه، برك الغمار، وغيرها، وذلك حين رثى صديقه خندقاً الأسدي، حيث قال:

= =

(30) الأيوبي، معجم الشعراء، ص 121.

(31) الأيوبي، معجم الشعراء، ص 287.

(32) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 413.

(33) ياقوت الحموي. معجم البلدان، جـ1، ص 476.

(34) الأيوبي، معجم الشعراء، ص 1400.

عداني أو أزورك غير بغض مقامك بين مصفحة شداد
وإني قائل إن لم أزرهم سقت ديم السواري والغواري
بوجه أخي بني أسد قنونا إلى يبه إلى برك الغماد
مقيم بالمجازة من قنونا وأهلك بالأجيفر فالثماد
فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي
وكل ذخيرة لا بد يوما وإن بقيت، تصير إلى نفاد
فلو فوديت من حدث المنايا وقيتك بالطريف وبالتلاد
يعز على أن نغدو جميعاً وتصبح بعدنا رهناً بوادي

وقد أورد ذلك ياقوت الحموي في معرض حديثه عن "يبه"[35].

وفي القرون المتأخرة برز كذلك العديد من الشعراء، ففي القرن الثامن الهجري، أورد لنا صاحب مرآة الجنان وعبرة اليقظان الكثير من الشعر، بل كان هو كذلك شاعراً مجيداً، فقد قال في مدح شيخه الطواشي- سبق التعريف به – الكثير من الشعر [36]، نورد منها:

أومل من ذي الفضل ما هو أهله وإن لم أكن أهلاً لما منه أطلب
عسى سيل فضل منه يغسل كل ما ياوساخة كم قد تلطخ مذنب
كما قال نور الدين شيخي وسيدي وقد مال من حال به الراح يشرب
إذا جاء سيل الفضل يغسل كل ما يلاقي من الأوساخ في الحال يذهب
ألهى بجاه المصطفى سيد الورى وملجأهم من كل ما منه يهرب
وتاج العلي بدر الهدى معدن الندى طراز جمال الكون لبهج مذهب
انلني منائي منك يا غاية المنى لا ضجى ولا شغل بحبك مذهب
وحقق رجائي ياجواداً ومنعما كريما تعالى للرجالا تخيب

وعلى الرغم ما في هذه القصيدة من مظاهر التصوف الذي كان سائداً آنذاك، إلا أنها جاءت قوية السبك ظاهرة المعاني، تعكس الصورة الحضارية التي كانت سائدة وقتئذٍ.

وفي قصيدة أخرى مدح فيها عبد الله بن اسعد اليافعي مشايخه قال[37]:

خليلي ما ريم عدت وحمامه شدت ما به موهت ليس بمقصد
ولكن أكنى عن مليحي حما هما وعصر هما بدري دياج لمهتد
جمال الهدى البصال شيخي وسيدي أمام الأنام الزاهد المتعبد
مليح الحلى زاهي المحاسن والعلى وسابى الورى نغما كدر منضد
ونور الهدى بحر المعارف والندى خزانة اسرار وسيف مهند

(35) معجم البلدان، ج5، ص 491.

(36) اليافعي، مرآة الجنان. ج4، ص 324. واسمه: عبد الله بن أسعد.

(37) مرآة الجنان، ج4، ص 340.

دليل طريق السالكين إلى العلا على حضرة يحظى بها كل مسعد
علي بن عبد الله ذي السعد والعطا أمامي وأستاذي وشيخي وسيدي
مسقى بكأس الحب في قدس حضرة مداما بها من سكر هاكم مربد
وكم نصبت أحبولة لاصطيادهم فصاد لصياد حوى الفضل أحمد
له جليت بيض المعارف والعلى بعالى مقام في الثريا شيد
وجيء بخاءات الولاية واللوى ومركوب خيل في رواية مسند
فأضحى التي مستور فيا عند كشفه غيوب ذوي الانكار وقت التجرد
فامسوا يعلم والولاية والعلا له قد أقر وليس ذاك بمجحد
وصاحبه الفان وهم ثلاثة وآياته عدت لحصر معدد
وللحكمي قد حكمت في تصرف يولي ويعزل كل طاغ ومفسد
وولد ملكا نافذا فيه حكمه صريحاً على الاطلاق لا بمقيد
كذك روينا عن كبارو سادة وكم مكرمات كم كرامات مسعد) [38]

والجدير بالذكر أن الطوشي) [39] نفسه كان شاعراً وأديباً فمن نظمه قوله) [40]:

أسفى من هجر سكان الحمى تركوني من هواهم في عمى
كلما قدمت يوما قدما نحوهم أخرت عنهم قدما
صرت مما فاتني من وصلهم أقرع السن عليهم ندما
ليتهم إذ هجروا لم يتلفوا يا لضنا صبا معنى مغرما
فعسى الدهر بوصل منهم يسعف الصب ويشفى السقما
قد جعلت الدمع مني شافعا ورجائي وانكساري سلما

ومن نثره رحمه الله تعالى قوله: " ينبغي للفقير الصادق أن يكون كثير الفضائل لطيف الشمائل، ما في يده لا يرد عنه سائل، ولا يخيب عنه آمل، اخلاقه الطف من نسيم السحر، وأوصافه كالمسك إذا فاح وانتشر، طلق الوجه عند لقاء الاخوان، بسام الثغر عند وجود الحدثان، قلبه من الغش والحسد مكنوس، قد طهر ونقى من آفات النفوس، حرفته في الدنيا الزهادة، وحانوته فيها المبادة، إذا جن عليه الليل فهو قائم، وإذا أصبح النهار فهو صائم، كثير التلاوة للقرآن، بدمع منحدر كالجمان، دائم الفكرة متواصل الأحزان) [41].

ومن الأدباء الذين زخرت بهم المنطقة التهامية، وبالذات مدينة أبي عريش الأديب: أبو القسام بن المهدي الحكمي العريشي من أدباء الدهر، نشأ بابي عريش، واختص بالسيد جمال الإسلام محمد بن صلاح، وله شعر رائق) [42].

---

(38) المصدر نفسه.

(39) هو نور الدين علي المعروف بالطواشي. سكن حلي بن يعقوب وتوفي بها سنة 748هـ، وهو من مشائخ اليافعي صاحب مرآة الجنان.

(40) اليافعي، مرآة الجنان، جـ4، ص 339.

(41) المصدر نفسه.

(42) الزبيدي. تاج العروس، جـ17، ص261.

هذا بالإضافة إلى كل من: أبو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأشعري العريشي) [43]، وأبو جعفر محمد بن عرشي الواسطي ومحمد بن حصن العريشي. ولا غرابة في ذلك فالمنطقة غنية بالعلماء والأدباء والشعراء، واصحاب الفكر، وأرباب القلم، وما زالت إلى يومنا هذا مصدراً ثراً للشعراء.

الحياة الاقتصادية

أولاً: الأسواق التجارية:

عرفت الجزيرة العربية الكثير من الأسواق التي كان يجتمع فيها العرب للتجارة وغير ذلك مما اعتاد عليه العرب في جاهليتهم، كسوق عكاظ ومجنة، وذو المجاز وغيرها.

لكن الذي يهمنا بالدرجة الأولى هي الأسواق التي كانت في تهامة وبالتحديد، سوق حباشة: وحباشة سوق الأزد، وهي في ديار الأوصام من بارق، من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن، وهي من مكة على ست ليال) [44]. وكان هذا السوق يقام في غير مواسم الحج وفي غير أشهره، وإنما كان يقام في رجب) [45]. وسوق حباشة هو آخر سوق خرب من أيام الجاهلية) [46]. وبهذا فهي سوق تهامية يتاجر فيها أهل الحجاز وأهل اليمن) [47] .(وحال الاسواق هو حال جميع أسواق بلدان العالم منذ قدم العصور ويقدم التجار في هذه الاسواق الخدمات المتعددة التي تعرض للناس من خلال السلع وغيرها.

ثانياً: الطرق والمراكز التجارية:

1-الطريق الساحلي:

وقد جاء وصف هذا الطريق في صبح الأعشى) [48] كالتالي:

"وهي من مكة إلى جده، إلى منزل، ثم إلى الشعيبة، ثم إلى المرجاب ثم إلى أغيار، ثم إلى السرين، ثم إلى مرسى حلي، ثم إلى مرسى ضنكان، ثم إلى سجين، ثم إلى مخلاف الحكم، ثم إلى الجودة ثم إلى مخلاف عك، ثم إلى غلافقه، ثم إلى زبيد، ثم إلى المندب...".

وعند ابن خرداذبه) [49] كالتالي: "زبيد، مخلاف عك، الخرده، مخلاف الحكم، عثر..، ومن أراد طريق الساحل، أخذ من عثر إلى مرسى ضنكان، ثم مرسى حلي، ثم السرين، ثم أغيار، ثم الهرجاب، ثم الشعيبة، ثم منزل، ثم جدة، ثم مكة".

2-ميناء الشعيبة:

ويقع بالقرب من جدة، وكانت مرفأ السفن قبل جدة وقد أورد لنا النويري) [50] في معرض حديثه عن بناء الكعبة قبيل بعثة سيدنا محمد ﷺ: " وكان البحر قد رمى بسفينه إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت، قال الواقدي: كان رأس أصحاب السفينة رجلاً رومياً اسمه باقوم، فخجتها الريح إلى الشعيبة، وكانت مرفأ السفن قبل جدة، فتحطمت فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش فابتاعوا خشبها، وقدم معهم باقوم الرومي".

ويعضد ما سبق ما جاء في تاريخ مكة للأزرقي) [51]، حيث أكد أن الشعيبة آنذاك- أي عند بناء الكعبة- ساحل مكة قبل جدة، وفيها تحطمت السفينة الرومية، ومنها أخذ الخشب اللازم للبناء.

---

(43) نفس المصدر والصفحة.

(44) الأزرقي، أخبار مكة، جـ1، ص 191.

(45) ابن فهد. اتحاف الورى. جـ1، ص 591.

(46) نفس المصدر، ص 261.

(47) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، جـ7، ص 375.

(48) القلقشندي، جـ5، ص 57.

(49) المسالك والممالك. ص 192، 193.

(50) نهاية الأرب. جـ16، ص 99، 100.

(51) نهاية الأرب، جـ1، ص 157.

والجدير بالذكر أن الذي أمر بتحويل الساحل من الشعيبة إلى ساحلها اليوم، وهو جدة، هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان، لما سئل في ذلك) [52]. وهذا يعني أن الشعيبة لعبت دوراً هاماً في التجارة، وفي الاقتصاد للجزيرة العربية. وهي من المراسي القديمة في الحجاز، وهي ميناء أمين تقصده السفن للتزود بما تحتاج إليه من زاد وماء، ولتفرغ فيه ما تأتي به من شحن من افريقية إلى الحجاز، ومنه هاجر المسلمون إلى الحبشة في السنة الخامسة من المبعث، حيث وجدوا سفينتين للتجار، حملوهم فيها إلى الحبشة، ومنه كان يذهب تجار مكة إلى أفريقية للتجارة قبل الإسلام) [53].

3-مدينة زبيد:

وتعد زبيد من المراكز التجارية الهامة التي مارست دوراً حيوياً في التجارة آنذاك، ولنترك الحديث للإدريسي[54]، ليحدثنا عن زبيد، حيث قال: "ومدينة زبيد مدينة كبيرة، وأهلها مياسير، أهل ثروة ومال، والمسافرون إليها كثيرون، وبها يجتمع التجار من أرض الحجاز، وأرض الحبشة وأرض مصر الصاعدون في مراكب جدة وأهل الحبشة يجلبون رقيقهم ويخرج منها ضروب الأفاويه الهندية والمتاع الصيني وغيره وهي على نهر صغير ومنها إلى مدينة صنعاء مائة واثنان وثلاثون ميلاً ومن جيلان إلى الهان اثنان وأربعون ميلاً ومن ألهان إلى الغرف ثلاثون ميلاً ومن الغرف إلى صنعاء أربعة وعشرون ميلاً وكل هذه البلاد قرى وحصون ليست بالكبار لكنها معمورة ينزل بها ويأوي التجار والمسافرون إليها ويتزودون منها"[55].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من المراكز التجارية الأخرى، كعثر، والسرين، وحلي بن يعقوب، وقنونا، وغيرها من المدن والقرى الواقعة على طول الطريق من زبيد إلى مكة.

ثالثاً: المعادن:

عرفت المنطقة أنواعاً متعددة من المعادن، وقد أوردها قدامى جغرافي العرب ومؤرخوهم. فقد ذكر الهمداني أن "النقمي نقيس ويكون يضهر وسعوان والسر، ومخلاف خولان..." [56].

وفي كتاب الجوهرتين وصف الهمداني المعادن الموجودة آنذاك فجاء وصفه: " فأما المعادن المعلومة فمعدن عشم من أرض كنانة، وذهبه أحمر جيد، وهو جيد غزير..." [57] وعن معدن القفاعة قال: " القفاعة في سراة خولان من وسطها وغورها وقرنها بالبار وخُلب وجُحفان"[58].

وعن معدن ضنكان قال الهمداني: " ...، وضنكان، وهو معدن غزير، ولا بأس يبتره) [59].

ومن مناطق تهامة والتي احتوت على عدة معادن، تذكر بيش حيث قال الزبيدي في كتابه تاج العروس: " بيش بالفتح موضع، وفيه عدة معادن، وهو مخلاف من مخاليف اليمن"[60]. وبهذا نكون قد استعرضنا سريعاً بعضاً أو جانباً مما يتعلق بالمعادن التي عرفتها تهامة، تماماً كما وردت في كتب التراث.

رابعاً: الزراعة والثروة الحيوانية:

نظراً لكثرة الأودية والمساحات الرعوية ووفرة المياه المنحدرة عبر تلك الأودية من جبال السراة، قامت الزراعة، وكان من أهم المنتجات الزراعية بتهامة: الحبوب، وتشمل: الحنطة والشعير والذرة والسمسم، وغالب القوت الذرة، وأقله الحنطة) [61].

---

(52) الفاسي. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج5، ص 172.

(53) جواد علي، المفصل، ج7، ص 272، 273.

(54) نزهة المشتاق، ج1، ص 52، 53.

(55) المصدر نفسه.

(56) الهمداني، الإكليل، ج2، ص 75.

(57) الهمداني، الجوهرتين، ص 86.

(58) نفس المصدر، ص 258.

(59) نفسه، ص 381.

(60) نفسه، ج17، ص 89.

(61) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 16.

وأما فواكه فهي: "الرمان والسفرجل، والموز، والليمون، والأترج في أنواع أخرى من الفاكهة قليل المقدار، وبه البطيخ الأخضر والأصفر"[62]. ومن أجود الأنواع العنب الروضين والخولاني[63].

وأخبرنا ابن المجاور عن نوع من المنتجات الزراعية حين قال: " ومن القحمة إلى محل إبراهيم ثلاث فراسخ، وإلى سفاكا ثلاث فراسخ، وهو حصن بني على أعلى قمة جبل عاص على ملوك اليمن، وفيه يجلب الحُمر، وهو التمر الهندي إلى كل بلد"[64].

والحلبة: نبت له حب اصفر يُتعالج به وينبت فيؤكل قاله أبو حنيفة، وهو طعام أهل اليمن عامة. والسلع يسحقه أهل اليمن ويطبخونه فيأكلونه[65]. والمنطقة التهامية مشهورة بزراعة أنواع أخرى من الخضروات كالبصل والقثاء، والطماطم، إضافة إلى الجرجير والكراث والفجل والفلفل الأخضر، والملوخية والرجلة.

وبالنسبة للثروة الحيوانية فتوجد أصنافاً عدة منها:

الخيول العربية، والحُمُر، والإبل، والبقر والغنم، ومن الطير: الدجاج، والحمام، وفيها من الوحوش: الزرافة والأسد، والغزلان والقردة وغير ذلك[66]. هذا بالإضافة نوع آخر من النبات يكثر باليمن وهو يدعى البلس، حيث يشبه التين، ويأكله الناس[67].

خامساً: طريق الحاج التهامية:

وقد وصف هذا الطريق الكثير من جغرافي المسلمين ورحالتهم حيث جاءت عند ابن خرداذبه[68] كالتالي: "زبيد مخلاف عك الخردة، مخلاف حكم عثر، فمن أراد طريق الجادة أخذ من عثر إلى العرش ثم جاز على طريق الجادة المغاليف، ومن أراد الساحل أخذ من عثر إلى مرسى ضنكان ثم مرسى حلي ثم السرين ثم اغيار ثم الهرجاب ثم الشعيبة ثم منزل ثم جدة، ثم مكة[69].

ومن المواقع المشهورة على طريق الحاج نذكر: برك الغماد، وهو المذكور في قصة غزوة بدر، وفي خبر هجرة النبي ﷺ، لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً إلى أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي وأريد أن اسيح في الأرض أعبد ربي، قال ابن الدغنة: مثلك لا يخرج إنك لتكسب المعدوم وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ارجع واعبد ربك في بلدك، فرجع[70].

وميقات من سار من الحجاج في هذا الطريق، يلملم، وهي في طريق الساحل الشمالي الجنوبي من الحجاز، ويسمى هذا الجبل اليوم "السعدية"[71]. وذكر ياقوت الحموي: أنها موضع على ليلتين من قلة وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل.

وقال المرزوقي: وهو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث وقيل: هو واد هناك[72].

وتحت عنوان "من مكة إلى اليمن" أورد اليعقوبي[73]" من مكة إلى صنعاء إحدى دعة دون مرحلة فأولها الملكان، ثم يلملم ومنها يحزم حاج اليمن، ثم الليث، ثم عليب، ثم قربا، ثم قنونا، ثم يبة، ثم المعقر، ثم ضنكان، ثم زنيف، ثم ريم، ثم بيش، ثم العرش من جازان، ثم الشرجة، ثم السلعاء، ثم بلحه، ثم المهجم ثم العادة...[74].

---

(62) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 16.

(63) الهمداني، الاكليل، ج2، ص 120.

(64) ابن المجاور، المستبصر، ص 77.

(65) الدمياطي، معجم النباتات، ص 44.

(66) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 16.

(67) ابن منظور، اللسان، ج2، ص 141.

(68) المسالك والممالك، ص 192، 193.

(69) المصدر نفسه.

(70) الحميري، الروض، ص 86.

(71) الأزرقي، تاريخ مكة، ج1، ص 210.

(72) معجم البلدان، ج5، ص 504.

(73) البلدان، ص 317.

(74) المصدر نفسه.

وفي القرن العاشر تم وصف الطريق فجاءت كالتالي: "وأما الطريق اليماني إلى مكة المعظمة فاعلم أن الركب يخرج من تعز، فينزل البئر، وهي في ذيل الجبل[75]، ويأخذ اليها في مرحلتين ويرد ماءها. ثم يرحل إلى وادي الحناء، ويأخذ إليه في ثلاث مراحل ويرد ماءه ثم يرحل إلى وادي الموز، ويأخذ إليه في مرحلة واحدة، وهو واد كثير الموز والشراب المسكر، ويرد ماءه، ثم يرحل إلى زبيد، ويأخذ إليها في مرحلتين، وإنما يجيء إلى زبيد قصداً لأنها دار الملك، وبها يجتمع شذاذ الركب ويتكامل[76].

ثم يرحل إلى حديدة زبيد، ويأخذ إليها في مرحلتين، ويرد ماءها ويرحل إلى المعازبة، ويأخذ إليها في أربع مراحل، ويرد ماءها ويرحل إلى فشال، ويأخذ إليها في أربع مراحل، ويرد ماءها ثم يرحل إلى القحمة، فيأخذ إليها في أربع مراحل، ويرد ماءها ويرحل إلى جازان ويأخذ إليها في أربع مراحل ويرد ماءها، ويرحل إلى المهجم ويأخذ إليها في أربع مراحل، ويرد ماءها ويرحل إلى بياضه، ويأخذ إليها في أربع مراحل. ويرحل إلى حرض، فيأخذ إليها في أربع مراحل، ويرد ماءه. ويرحل إلى الطالب، ويأخذ إليها في ست مراحل، ويرد ماءها [77].

ويرحل إلى حلي بن يعقوب، فيأخذ إليه في ست مراحل ويرد ماءه. ويرحل إلى قرعة بني حازم، ويأخذ إليها في أربع مراحل، ويرد ماءها ويرحل إلى ملتقى الواديين ويأخذ إليه في أربع مراحل، ويرد ماءه. ويرحل إلى الحسبة ويأخذ إليها في أربع مراحل، ويرد ماءها. ويرحل إلى يلملم، ميقات اليمن، ويأخذ إليه في مرحلتين، ويرد ماءه[78]. ويحرمون فيه ويهلون بالتلبية، ويرحل الركب إلى البئر فيأخذ إليه في أربع مراحل، ويرد ماءه، ويرحل إلى بئر علي، ويأخذ إليه في ثلاث مراحل، ويرد ماءه، ويرحل إلى مكة المشرفة، فيأخذ إليها في مرحلة واحدة، فهذه جملة ما يتعلق بالركب اليماني[79].

وبذلك نكون قد أعطينا وصفاً دقيقاً للطريق التهامي الخاص بالحاج الذي يسلك ذلك الطريق.

---

(75) الأنصاري، الدرر الفرائد، المنظمة، جـ2، ص 82.

(76) الأنصاري، المصدر نفسه.

(77) المصدر نفسه.

(78) الأنصاري. المصدر السابق، ص 83.

(79) الأنصاري، المصدر السابق، ص 83.

المصادروالمراجع

- ابن الأثير، علي بن محمد (630-1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو صهيب الكرمي (بيروت: بيت الأفكار الدولية، د.ت).
- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (493-560هـ / 1100-1165م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: عالم الكتب، بيروت: عالم الكتب، ط:1، 1409هـ - 1989م, (.
- الأزرقي، محمد بن عبد الله. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق: رشدي الصالح ملحس، (مكة المكرمة: دار الثقافة، ط8، 1416هـ - 1996م).
- الأشعري، محمد بن أحمد. التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب. تحقيق: سعد عبد المقصود ظلام. أبها، نادي أبها الأدبي، 1409هـ - 1989م.
- الاصطخري، إبراهيم بن محمد. مسالك الممالك. تحقيق: أم دي غوى (ليدن، مطبعة بريل، 1357-1937م).
- الأصفهاني، أبو فرج (356هـ - 966م)، الأغاني، تحقيق: عبد علي مهنا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1412هـ - 1992م.
- الأصفهاني، الحسن بن عبد الله. بلاد العرب. تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، الرياض: دار اليمامة، د.ت.
- الأنصاري، عبد القادر بن محمد) (ت، 977هـ - 1569م)، الدرر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة. تحقيق: محمد حسن إسماعيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ - 2002م).
- الأيوبي، ياسين، معجم الشعراء في لسان العرب. بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1407هـ - 1987م.
- البجاوي، إبراهيم علي. أيام العرب في الجاهلية. بيروت: المكتبة العصرية، ط، 1424هـ - 2004م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ - 869م). التاريخ الكبير، تحقيق مصطفى عبد القادر أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ - 2002م، جـ1-8.
- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد. رحلة ابن بطوطة المسماة نحفه النظار في غرائب الأمصار، تحقيق: طلال حرب، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت)، جـ1، 6، 9، 11.
- البغدادي، قدامة بن جعفر. نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتاب (ليدن، مطبعة بريل، 1307هـ - 1889م).
- البغوي، الحسن بن مسعود (516هـ - 1122م)، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل. تحقيق: خالد العك ومروان سوار (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، جـ3+4.
- ابن بكار، الزبير) (172-256هـ - 788-869م)، الأخبار الموفقات، تحقيق: سامي مكي العاني، بغداد: مطبعة العاني، ط 1392هـ - 1972م.
- ابن بكار، الزبير (172-256هـ - 788-869م)، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر.
- الجاحظ: عمرو بن بحر. البخلاء، تحقيق: طه الحاجري (القاهرة: دار المعارف، ط5.
- الجاحظ: عمرو بن بحر (150-255هـ - 767-868م) البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، جـ1+2+3
- الجاحظ: عمرو بن بحر: التاج في أخلاف الملوك. تحقيق: فوزي عطوي، بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب، د.ت.
- الجاحظ: عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده، ط2) جـ1، 2، 3، 4، 5، 6.
- الجاسر، حمد. أبو علي الحجري وأبحاثه في تحديد المواضع. الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د.ت.

- ابن جبير: محمد بن أحمد (ق، 6هـ - 12م)، رحلة ابن جبير بيروت، دار صادر، 1384هـ - 1964م).
- الجزري، عز الدين ابن الأثر، اللباب في تهذيب الأنساب. بيروت، دار صادر، د.ت) جـ1+2+3.
- Suhear Mohammad Bataineh and Ahmad Faisal bin Abdul Hamid.(2017). The Concept of fighting in Islam and Its Ethics in Islamic Sharia. Journal al-Muqaddimah. vol.(5).1. Jan-Jun 2017.

. https://umexpert.um.edu.my/file/publication/00006434_159128_70516.pdf ,

- Ku Muhamad Asmadi Bin Ku Mohd Saad,Faisal @ Ahmad Faisal Abdul Hamid, Jurnal al-Muqaddimah Volume 3(3), Disember, 2015. https://umexpert.um.edu.my/faisal.html